

أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الأمل

باء من نفي حكمه [١] ونفيها نفي الشريعة من أصلها إذا عرفت هذا فاعلم أنه لم يبق بعد تقرر الشريعة لمسألة الخلاف في التحسين والتقييح فائدة إذ بعد حكم الشع لم يبق للعقل مجال في إثباته لشيء من الأحكام إنما هذه الأبحاث فرضية مبنية على انفراد العقل عن الشع وقد عرفناك أنها لا تخلو أمة من شريعة وإن من أمة إلا خلا فيها نذير نعم تخلو عن معرفة أحكام شرعها كلها بـإعراضها عن التعلم كما وقع في الجاهلية الجلاء وكم ترى في كل ملة حتى ملة الإسلام من إعراض كثير عن تعلم أحكام الإسلام فلذا قدمنا لك أن الجاهلية مدحوا منتصف بالحسن وذموا من اتصف بالقبيح بـعقولهم لغفلتهم عن الشرائع إلا أنا لم نذكر من حكم العقل إلا ما يليق بالأصل من الاختصار فقلنا ... إذا دليل الشع في الحكم انتفى ... كان دليل العقل عنه خلفا

قد عرفت أنه بعد ورود الشع لم يبق للعقل إلا تحسين ما حسنـه وتقييـح ما قـبـحـه وقد جاء مـقرـراـ لـمـاـ كـانـ يـدـرـكـهـ العـقـلـ مـنـ الـحـسـنـ وـالـقـبـيـحـ وـصـفـةـ الـكـمـالـ وـالـنـقـصـ وـزـادـ بـأـنـ الـعـقـابـ وـالـإـثـابـةـ ثـمـ فـصـلـ الشـعـ الأـحـكـامـ الـخـمـسـةـ فـكـانتـ عـلـىـ مـقـتضـىـ الـعـقـلـ بـعـدـ إـقـرـارـهـ بـالـشـرـيـعـةـ إـنـهـ عـرـفـهـ بـمـصـالـحـ الـأـعـمـالـ وـمـفـاسـدـهـ مـاـ كـانـ جـاهـلـ لـهـ فـعـرـفـهـ أـنـ الـعـقـلـ إـذـ اـشـتـمـلـ عـلـىـ مـفـسـدـةـ فـإـنـ فعلـهـ حـرـامـ أـوـ فـيـ تـرـكـهـ مـفـسـدـةـ فـوـاجـبـ وـإـنـ لـمـ يـشـتـمـلـ أـحـدـ طـرـفـيـهـ فـعـلـاـ أـوـ تـرـكـاـ عـلـىـ مـفـسـدـةـ فـإـماـ أـنـ يـشـتـمـلـ عـلـىـ مـصـلـحةـ أـوـ لـاـ الثـانـيـ الـمـبـاحـ وـالـأـوـلـ إـمـاـ أـنـ يـعـرـفـهـ فـيـ فعلـهـ مـصـلـحةـ وـلـيـسـ فـيـ تـرـكـهـ مـفـسـدـةـ فـهـوـ الـمـنـدـوبـ أـوـ فـيـ تـرـكـهـ مـصـلـحةـ وـلـيـسـ فـيـ فعلـهـ مـفـسـدـةـ فـهـوـ الـمـكـروـهـ فـالـمـبـاحـ بـعـدـ تـفـصـيلـ الـشـعـ الـأـحـكـامـ باـقـ عـنـ الـعـقـلـ عـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ قـبـلـ وـرـودـهـ لأنـ فـاعـلـهـ لـاـ يـدـرـكـ الـعـقـلـ فـيـهـ حـسـنـاـ وـلـاـ كـمـالـاـ إـنـ فـعـلـ وـلـاـ قـبـحاـ وـلـاـ نـقـصـاـ إـنـ تـرـكـ كالـتـظـلـلـ تـحـتـ الـأـشـجـارـ وـالـتـفـرـجـ عـلـىـ جـرـيـانـ الـأـنـهـارـ لـزـيـادـةـ التـوـحـيدـ وـالـاعـتـبـارـ فـهـذـاـ لـاـ يـقـضـيـ فـيـهـ الـعـقـلـ بـشـيـءـ كـمـاـ لـاـ يـقـضـيـ فـيـهـ الشـعـ بـشـيـءـ وـبـهـذـاـ يـعـرـفـ أـنـ الـمـبـاحـ لـيـسـ مـنـ قـسـمـ الـحـسـنـ وـلـاـ مـنـ صـفـةـ الـكـمـالـ وـلـاـ مـنـ قـسـمـ مـاـ يـقـاـبـلـهـمـ إـذـاـ فـقـدـ حـكـمـ الشـعـ كـانـ حـكـمـ الـعـقـلـ تـبـعـاـ لـهـ وـخـلـفـاـ عـنـهـ فـيـ فـقـدـ الـحـكـمـ أـيـ الـاتـصـافـ بـأـحـدـ الـأـمـرـيـنـ وـإـلـاـ